**بسم الله الرحمن الرحيم**

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أكرم المرسلين، الرحمة المهداة، والنعمة المسداة، والسراج المنير، سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه وسلم.

**أما بعد**

فإن المرأة لها مكانة مختلفة فى المجتمع الجاهلى تبعا لرقها وحريتها؛ حيث كان من بينهن فتيات يقمن بتقديم الخمور فى مجالس اللهو والشراب، والعزف على آلات الطرب، أو يتخذن كأخذان أو جوار يخدمن عِلْيَة القوم، وغالبا ما يكون ذلك من الإماء، يقول الشاعر «طرفة بن العبد البكرى»:

**ندامای بیض کالنجوم وفتیة ... تروح علینا بین بُردٍ ومجسد**
**رحیب قطاب الجیب منها رقیقة ... یجس الندامی بضة المتجرَّدِ**
**إذا نحن قلنا: أسمعینا انبرت لنا ... على رسلها مطروقة لم تشددَّ**
**إذا رجعت فی صوتها خلت ... تجاوب أظآر على ربَع ردی**[1]

أما الحرة فقد كانت أعلى شأنا، وأرفع قدرا؛ حيث كُنَّ مترفات مخدومات، ينمن الضحى، ولا ينتطقن عن تفضل، وأن

(١) الديوان ص ٣٠، ٣١ – ط: دار صادر – بيروت – لبنان – بدون تاريخ.

لها من يقوم بخدمتها، فهى ليست بحاجة إلى شّـِد المنطقة فى وسطها لتساعدها على القيام بخدمتها، يقول امرؤ القيس:

**وتضحى فتيتُ المسك فوق فراشها نوؤم الضحى لم تنتطق عن تفضل**

فكان للمرأة منزلتها المقدورة، وكان العربى يحبها فيناديها بالكنية تقديرا لها، وإعظاما لشأنها، وكراهية للتصريح باسمها، غيرة منه عليها، ولذلك كان يناديها باسم ابنها، أو باسم أخيها إن لم يكن لها ولد.

أما وأدها حية والذى سجله القرآن بقوله – تعالى – ﴿ وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ ﴿٨﴾ بِأَىِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ ﴿٩﴾ ﴾ سورة التكوير، وقوله – تعالى– ﴿ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِٱلْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٥٨﴾ يَتَوَٰرَىٰ مِنَ ٱلْقَوْمِ مِن سُوٓءِ مَا بُشِّرَ بِهِۦٓ ۚ أَيُمْسِكُهُۥ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُۥ فِى ٱلتُّرَابِ ۗ أَلَا سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٥٩﴾ ﴾ سورة النحل.

فقد كان ذلك الاعتقاد سائدا لديهم، وهو إن زوَّجها لغنى لطم خدها وسب جده، وإن زوجها لفقير رآها عنده والهم عنده؛ لذا سأل الله أن يأخذها سريعا وإن كانت أحب الناس عنده، فقد صور ذلك فى شعره الصادق العاطفة والإحساس والشعور فيقول:

**أحب بنيتى ووددت أنِّـــى دفنت بنيتى فى قاع لحدى**

**وما بى أن تهون علىّ لكـــن مخافة أن تذوق الذلّ بعـــدِى**
**فلو زوجتها رجـــلا غنيّـــا سَيلطم خدّها ويسبُّ جـــدِّى**
**ولو زوَّجتها رجـــلا فقيـــرا أراها عنده والهـــم عنـــدى**
**سألت الله يأخذها سريعـــا وإن كانت أحبّ الناس عندى**

ومـــع ذلك فقـــد كان لهـــا قدرهـــا، ومنزلتها غـــير المنكورة لديهم جميعا، وقد كان رقى النســـاء يومـــذاك دليلا على ارتقاء العـــرب فكرا؛ حيـــث كان للمرأة رأى يحـــترم ويؤبه له، وهى صاحبـــة رفعة وأنفة، وشمم وإباء فنبغت غير واحدة فى الشـــعر والسياســـة، والحرب والتجارة، ولا سيما فى أوائل الإسلام إثر مـــا حصل من نهضة فكرية وعقلية، فالنســـاء اللواتى اشـــتهرن فـــى الجاهلية بالشـــجاعة ورباطـــة الجأش كثـــرة كاثرة، وعلى ســـبيل المثال لا الحصر نذكر بعضهن من أمثال: «ســـلمى بنت عمرو» إحدى نساء بنى عدى بن النجار؛ حيث كانت لا تتزوج الرجال إلا وأمرها بيدها، فإذا عَنَّ لها من زوجها شـــىء تركته، وغالبا ما كانت تخيَّر المرأة قبل الزواج، فيؤخذ رأيها فى شريك حياتها، ومن هؤلاء النســـوة «هند بنت عتبة» وكانت قد شرطت علـــى أبيها أن يصف لها من يتقـــدم لخطبتها دون ذكر اسمه،

فقــال لها ذات يوم: إنه قد خطبك رجلان من قومك، ولســت مسميا لك واحدا منهما حتى أصفه لك.

أما الأول: ففى الشــرف الصميم، والحسب الكريم، تخالين به هوجا من غفلته، وذلك أســجاح من شيمته، حسن الصحابة، ســريع الإجابة، إن تابعته تبعــك، وإن مِلْتِ كان معك، تقصين عليه فى ماله، وتكتفين برأيك عند مشورته.

وأما الآخر: ففى الحســب الحســيب، والرأى الأريب، بدر أرومته، وعز عشــيرته يؤدب أهله ولا يؤدبونه، إن اتبعوه أسهل بهــم، وإن جانبوه توعّر عليهم، شــديد الغيرة ســريع الطّيرة، صعــب حجــاب القبة، إن حــاج فغير منــذور، وإن نوزع فغير مقهور، وقد بيّنت لك كليهما.

فقالت: أما الأول: فســيد مضياع لكريمتــه، موات لها فيما عسى أن تعتصى أن تلين، وتضيع تحت خبائها، إن جاءته بولد أحمقت، وإن أنجبت فعن خطأ ما أنجبت، اطو ذكر هذا عنى، ولا تسمه لى. وأما الآخر: فبعل الحرة الكريمة، وإنى لأخلاق هذا لوامقة، وإنى لآخذ بأدب البعل مع لزوم قبتى، وقلة تلفتى، وإن لســليل بيتى وبيته لحرى أن يكون المدافع عن حريم عشــيرته،

الزائـد عن كتيبتها، المحامى عن حقيقتهـا، المنبت لأرومتها، غير مواكل ولا زمّيل عند صعصعة الحروب.

قال: ذاك أبو سفيان بن حرب. قالت: فزوجه لى.

ومنهـن أيضا «عمـرة بنت علقمة الحارثيـة» فقد رفعت لواء قريـش فى وقعة «أحد» فالتف الناس حولها، و«هند بنت عتبة» آنفـة الذكر، وزوج أبى سـفيان، والتى مثَّلـت بجثة «حمزة بن عبد المطلب» عم رسـول الله ﷺ واعْتَلَت صخرة تُنْشـدِ الأشعار فخرا بالنصرة على المسلمين، وقد أسلمت وحسن إسلامها.

وعُـرف منهن بالحزم وصواب الـرأى «خديجة بنت خويلد» فقد كانـت لبيبة حازمـة، وذكية عاقلة، ذات شـرف وغنى، والدليل على ذلك اختيارها لرسول الله ﷺ ليكون على تجارتها، وهى أول من أسلم[1].

وذات النفس الكبيرة والهمم العوالى «الخنساء» والتى شجعت أولادها على الثبات فى وقعة القادسـية، فقالت لهم: «يا بنى، لقد أسلمتم طائعين، وهاجرتم مختارين، وإنكم لبنى أب واحد، وأم واحـدة ما غبرت نسـبكم، ولا هجنت حسـبكم ولا غيرت

(١) تاريـخ التمدن الإسـلامى جـ ٥ ص ٥٦، وأيضا تاريـخ آداب اللغة العربية لجورجى زيدان جـ ١ ص ٣٩ بتصرف.

غالكـم، وقد علمتم مـا أعده الله من الثواب والأجر للشـهداء، فامضوا إلى غايتكم». فمضوا واشـتركوا فى المعركة، واستشـهدوا جميعـا، فلما نُبِّئت باستشـهادهم كانـت مقولتها: «الحمد لله الذى شـرَّفنى باستشـهادهم، وأدعو الله أن يجمعنى وإياهم فى مستقر رحمته».

وكان مـن بينهن شـواعر عُرفن بقرض الشـعر وإنشـاده فى الأسواق الأدبية، ومنهن «الخنساء» التى أوقفت جُلَّ شعرها على رثاء أخيها «صخر» وكان مما قالت فيه:

**وإن صخرا لتأتم الهداة بـــه كأنه علم فى رأســه نـــار**

ومنهن شـواعر لم ينلن كبير شـهرة؛ لضياع شـعرهنّ، عدا نتـف مبعثرة وردت فى بطـون أمهات الكتـب، ودفات كنوز المعرفـة، ومنهن «كبشـة» وهى أخت «عمرو بـن معد يكرب»، و«جليلـة بنت مـرَّة» امرأة «كليب» الفارس الشـهير، ولها فيه مَرَاث عظيمة، و«ميسـة بنت جابر» زوج «حارثة بن بدر» ولها فيه رثاء رائع، و«أميمة» امرأة الشاعر «ابن الدمينة» وقالت شعرا تعاتبه فيه، فقالت:

**وأنت الذى أخلفتنى ما وعدتنى وأشمت بى من كان فيك يلوم**

**وأبرزتنى للناس ثم تركتنـــى لهم غرضا أرمى وأنت سليـم**
**وأنت الذى أحفظت قومى فكلهم بعيد الرضا دانى الصدود كليم**[1]

فأجابها بمثل عتابها فقال:

**وأنت التى كلفتنى دلج السُّرى رجون القطا بالجهلتين جثوم**
**وأنت التى قطعت قلبى حزازة وقرّفت قرح القلب فهو سقيم**
**فلو أن قولا يكلم الجسم قد بدا بجسمى من قول الوشاة كلوم**[2]

كما كان أبو نواس يروى لستين شاعرة من العرب، وكما نبغ بعض النسـوة فى الشـعر وكان لهنّ منه حظ كذلك نبغ بعضهن فى الخطابة وكنّ خطيبات شهيرات يُجدن القول، ويمتلكن أذِمَّة البلاغة، ويمسـكن بناصية البيان، ومن بينهن «هند بنت الخس الإياديـة» و«جمعة بنت حابس» وغيرهن من النسـاء اللواتى نلن شهرة فى الشعر والخطابة.

وكنّ أيضا طبيبات يأسين الجراح، ويداوين المرضى، وبخاصة فى المعارك الحربية، ومن أشـهرهن «زينـب» طبيبة بنى «أود» وكانت تعرف الطب، وتعالج العين والجراح.

---

(١) ديوان ابن الدمينة: لأبى العباس ثعلب، ومحمد بن حبيب – تحقيق: أحمد راتب النفاخ – مكتبة دار العروبة – بالقاهرة – مطبعة: المدنى – ١٣٧٨هـ – ١٩٥٩م ص ٤٢.

(٢) ديوان ابن الدمينة ص ٤٢.

وهناك كوكبة من النساء شغفن بالشعر وحفظه ودراسته، منهن أم المؤمنين السيدة الفضلى «عائشة بنت أبى بكر» – g – فقد كانت تحفظ كل شعر «لبيد».

ومنهن من كان الشعراء يحتكمون إليهن فى أيهما أشعر؟ ومن ذلك حكومة «جندب» زوج «امرئ القيس» فى الفرس، حيث حكّمها زوجها بينه وبين «علقمة الفحل» فحكمت لعلقمة حكما يدل على ذكاء ومعرفة، وإن كنا نرى أن حكومتها بنيت على العاطفة والتى هى من طبع النساء، ولذلك طلقها «امرؤ القيس» وتزوجها «علقمة الفحل».

وهناك نسوة نبغن فى صدر الإسلام وفيهن مناقب الجاهلية، فكنّ يعقدن المجالس لمدارسة الشعر ونقده، كما كانت تفعل «سكينة بنت الحسين» – g – حيث كانت تجمع الشعراء وتحادثهم وتنتقد أشعارهم. وكذلك «عائشة بنت طلحة» والتى اشتهرت بالعلم ومجالسها الأدبية. وفى مكة امرأة اسمها «خرقاء» لديها سماطان من الأعراب تحدثهم وتناشدهم بلا ريبة أو سوء ظن، ومثلها فى ذلك «عمرة» امرأة «أبى دعبل» الشاعر، فقد كانت تجتمع بالشعراء لإنشاد الشعر قبل أن يتزوجها «أبو دعبل» وتزوجها بعد أن تعرّف عليها فى مجلسها هذا.

ومثــل هذه الأمور إن دلّت فإنما تــدل على مدى رقى العرب وشغفهم بالشعر، وحبهم للشعراء، وما كان لهما من أثر بالغ فى المجتمع العربى بعامة، والجاهلى بخاصة.

وبعد تبيان ما للمرأة العربية من مكانة ســامقة، فى الجاهلية والإســلام حيث إن الإسلام أعلى شــأنها، ورفع قدرها، اخترنا شخصية جاهلية تدل دلالة حاسمة على ما كان للمرأة من مكانة ســامية، حيث قرضت الشــعر، ورواه الرواة عنها، وذلك دليل علــى ما كانت تتمتع به من حرية فــى الجاهلية، ثم نما وزاد، وهذبه الإسلام وصقله.

«خِرْنِق» بكســر الخاء المعجمة وســكون الراء المهملة وكســر النون بعدها قاف، هى امرأة شــاعرة، جاهلية، قال «أبو عبيدة» هــى «خِرْنِق بنت بدر بن هَفّان» من «بنى سـعد بن ضُبيعة» رهط «الأعشــى»، هكذا أورد فى «العُبــاب» «للصنَّعانى»، وفى كتاب «التصحيف» «للعســكرى»، «شــروح أبيات الكتــاب والجُمل»: «خرنق بنت هَفّان» القيســية مــن «بنى قيس بن ثعلبة بن عكابة ابن صعب بن على بن بكر بن وائل» بحذف «بدر»، وهى أخت «طرفة بن العبد البكرى» لأمه كما أومأنا إلى ذلك آنفا.

ويقول «يعقوب بن السكّيت» فى «أبيات المعانى»: هى عمة «طرفة بن العبد»[1].

و«خرنق» من الأسماء المنقولة؛ لأن الخرنق فى اللغة «ولد الأرنب»، والخرنق أيضا من معانيه «مصنعة الماء»، وهو مثل «الصّهْريج»، والنون أصلية، وأما «هَفَّان» بفتح الهاء وكسرها وتشديد الفاء، فهو اسم مرتجل غير منقول، وهو مشتق من «الهفيف» والهفيف: سرعة السير[2].

و«خرنق بنت بدر بن هفان» أخت الشاعر «طرفة بن العبد البكرىّ» لأمه، واحدة من هؤلاء النسوة اللاتى نبغن فى قول الشعر وإجادته، بيد أن ما وصلنا من شعرها قليل جدا، ولعل ذلك راجع إلى أن المجتمع الجاهلى لم يكن يسمح لمثيلاتها بالحرية الكاملة، وأن «خرنق» ومثيلاتها لم يجدن كبير عناية من رواة الشعر فى العصر الجاهلى؛ ولذلك قمنا بشرح ما وصل إلينا من شعرها مجموعا فى ديوان حققه الأستاذ الدكتور «حسين نصار» وبعض الأشعار التى عثرنا عليها فى بعض المصادر الأدبية وكنوز التراث.

---

(١) خزانة الأدب للبغدادى جـ ٥ ص ٥٥ – ط: الثانية – ١٤٠٤ هـ – ١٩٨٤م نشر: مكتبة الخانجى بالقاهرة.

(٢) ذاته.

فـإن كنت قد وفقت فذلـك من فضل الله علينا وعلى الناس، وإن تكـن الأخرى فحسـبى أننى مهدت السـبيل أمام عشـاق الدراسات الأدبية وطلاب المعرفة، والله ولى التوفيق.

**أ. د. على أحمد الخطيب**
**أستاذ ورئيس قسم الأدب والنقد**
**والعميد الأسبق لكلية اللغة العربية**
**جامعة الأزهر الشريف – فرع جرجا**